

أثر شبكة الإتصالات العالمية في صناعة الشخصية التاريخية للفرد والجماعة

د. سحوان عطاء الله.

جامعة الجلفة.

د/ النوعي عبد القادر.

جامعة الأغواط.

الملخص:

القيم الإنسانية في ظل العولمة الإعلامية، إن مفهوم القيم الإنسانية في حد ذاته مفهوم انشائي ومعقد خصوصا في ظل تعقد المعرفة وظهور عديد التخصصات السوسولوجية من رحم علم الاجتماع العام، بل يزايد تعقيد في ظل افرازات ما يسمى بالعولمة ليقول نورمان جيفان عن العولمة "أنها تشير إلى مجموعة شاملة من العمليات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية، ويوجد عند أساسها الاقتصادي تدويل التمويل والإنتاج والتجارة والاتصالات الذي تقوده أنشطة الشركات العابرة للأوطان ، واندماج أسواق رأس المال والنقود وتضافر تقنيات الكمبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية" (١)، وهو الأمر الذي سيزيد المفاهيم السوسولوجية المزيد من اللزوجة والمرونة والصعوبة، والواقع وكما هو معروف فإن العولمة توزع المفاهيم وتعيد انتاجها وتصنعها في مخابرها الإعلامية والايديولوجية وبشكل متطرف في كثير من الأحيان، ومثال ذلك مفهوم القيم الإنسانية والذي يعتبر من المفاهيم السوسولوجية الأصيلة، فهل يمكن أن يكون هذا المفهوم وهو القيم مؤثرا في العولمة أم أنه كبقية المفاهيم يتأثر بها بشكل أو بآخر؟

الكلمات المفتاحية :

القيم ؛ القيم الإنسانية ؛ العولمة ؛ العولمة الإعلامية

Summary :

Human values in the context of globalization Media, the concept of human values in itself a concept of proliferation and complex, especially in light of the complexity of knowledge and the emergence of many disciplines from the sociological sociology of sociology, but increase complexity under the secretions of the so-called globalization, A comprehensive set of economic, political and ideological processes, on which the economic basis is the internationalization of finance, production, trade and communications led by the activities of transnational corporations, the integration of capital markets and money and the convergence of computer and telecommunications " This is what will increase the sociological concepts more viscosity, flexibility and difficulty. Indeed, globalization is spreading concepts, reproducing and producing them in their media and ideological laboratories, and in a very extreme way. For example, the concept of human values, which is considered a true sociological concept, This concept of values is influential in globalization or is it like other concepts influenced in one form or another?

مقدمة :

في ظل الإجتياح العالمي لمنتوج الإعلام العولمي من معلومات وأخبار وأفلام وتقارير وحصص ثقافية و وثائقية ، يقوم الإعلام العولمي بغسيل دماغ تاريخي لكل المجتمعات والأمم والشعوب والقبائل بهدف ترسيخ لقيم إنسانية جديدة تخدم الحضارة الغربية الحديثة التي يسميها فوكو ياما : نهاية التاريخ أي النموذج الأخير للحضارة البشرية ، وهذا ما أشار إليه عالم الإجتماع بيار بورديو في كتابه (التلفزيون آلة التلاعب بالعقول) أنها فعلاً إشارة سوسيو تاريخية تستحق التحليل والتشخيص والعلاج والتحصين لأن الأمر يتعلق بمصير كل الدول المتخلفة التي ستكون ضحية الإستعمار الثقافي الجديد .

١- معنى القيم:

إن مفهوم القيم مهم بالنسبة لدارسي علم النفس الاجتماعي، لان القيم تعتبر المحددات الهامة للسلوك الاجتماعي، والقيم نتاج لاهتمامات ونشاط الفرد والجماعة وينظر البعض إلى القيم على أنها من خصائص النوع البشري، وأنها ليست مجرد اختراعات شخصية أو أنها تلتصق بجماعة معينة، إن القيم عبارة عن تنظيمات عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء، والمعاني وأوجه النشاط والقيم موضوع الاتجاهات، كما أنها تعبر عن دوافع الإنسان، وتمثل الأشياء التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها، والقيمة مفهوم ضمني مجرد غالبا يعبر عن الفضل والامتياز، أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص والانتماء أو المعاني وأوجه النشاط المختلفة^(٢).

أما في العلوم الاجتماعية تعرف القيم بأنها "الأفكار المجردة التي تحدد ما يعتبر مهما ومحبدا أو مرغوبا فيه في ثقافة ما، أما المعايير فهي قواعد السلوك التي يتعين على الأفراد انتهاجها إزاء ما يحيط بهم" ^(٣).

كما يشير مصطلح النسق القيمي إلى "منظومة متكاملة ومتفاعلة من القيم التي يتبناها الفرد، التي تتوزع إلى مجالات عديدة، بحيث يمثل كل مجال عنصرا متفاعلا مع بقية مجالات القيم الأخرى لتؤدي وظائف توجيهية وتقييمية" ^(٤)، يعرفها بيري على أنها "أي شيء يمثل أهمية للذات الإنسانية وهذا معناه أن القيمة هي الاهتمام، وأن أي شيء إذا كان موضوع اهتمام، فانه حتما يكتسب قيمة والناس دائما ينظرون إلى الأشياء على أنها طيبة أو سيئة، صحيحة أو زائفة، فضائل أو

خطايا" ^(٥)، والقيم هي "العناصر الثقافية التي تجعل الثقافات الأخرى عسيرة الفهم، أو بمعنى آخر هي موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير" ^(٦) ويعرفها كل من آلبورت و فيرنون بأنها "اهتمامات واتجاهات معينة حيال أشياء، أو مواقف أو أشخاص" ^(٧).

ويعرفها "باردي 1955-1870 D.paradi" بأنها ناتج حكم تقديري أي أنها تؤكد القابل للرغبة في مقابل ما يرغب وهي أكثر من ذلك البريق الذي يصحب العقل ويوجهه أثناء الوقت الذي يتم فيه، أنها فكرة بالمعنى الحقيقي، فكرة عملية من غير شك" ^(٨)، لذلك فإن "نظام القيم لا يستطيع الإنسان بدونه أن يبلغ نموه" ^(٩)، وتساعد طبيعة الانتماء الجماعي للفرد على تكوين قيمه، ذلك أن عددا من قيم الفرد يمكن أن يرجع مصدرها إلى الجماعة التي ينتمي إليها، والتي يكون نحوها مشاعر ولاء عميقة، لذلك تعكس اتجاهاته وباستمرار قيم الجماعة ومعتقداتها ومعاييرها، فكل فرد في المجتمع، هو عضو في عدد كبير من الجماعات.

٢- معنى العولمة:

مفهوم العولمة، هذه الأخيرة التي يرها البعض مفهوما يتميز: "بالغموض والتعقيد وعدم التناسق بين النظرية والواقع اللذين هما بنفس الدرجة من الغموض، فإذا كانت العولمة تشير إلى مجموعة من التطورات التي جاءت بعد الحرب الباردة، وتهدف إلى إزالة الحدود والفواصل بين دول العالم و هذا الأمر يعد واقعا معاشا إلا أن الجانب التنظيري بقي متخلفا عن هذه التطورات، ولم يساير ماحدث على الساحة العالمية من تغيرات" ^(١٠)، وفي هذا الشأن يرى المفكر برهان غليون أن العولمة "دينامكية جديدة، تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة، في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة، وهي ثمرة التطورات العلمية والتقنية الموضوعية التابعة من منطق التنافس بين الدول والشركات، ومن ناحية أخرى ثمرة إرادة النخب والدول الحاكمة في استغلال هذه التطورات لتحقيق أهداف تتعلق بخدمة المصالح الاجتماعية" ^(١١)، إذا فالعولمة بشكلها المادي الذي يطبعها وبشكل صارخ تنفذ في عمق النظم والأنساق

الاجتماعية بشكل لا استأذاني لتغير النمط والشكل والمضمون لتلك النظم والأنساق، والجامعة باعتبارها نسقا اجتماعيا تتخله نفس الأعراض، ولا يمكن اعتبار فكرة استيراد المعرفة إلا حدثا تكرسه العولمة أو توفر له مناخا تحفيزيا.

ومما سبق نجد أنّ مفهوم العولمة يدور حول فكرة الانتشار الكوني لفكرة أو ثقافة ما عبر العالم بشكل قهري وبكل الوسائل الممكنة (بمعنى غياب مبدأ الندية)، ومفهوم العولمة غير مفهوم العالمية الذي يعني التلاقح والتعارف والتبادل والتكامل (بمعنى حضور وتجلي مبدأ الندية)، ويمكن تقصي ظاهرة العولمة كواقع معاش من خلال مؤشرات عدة تتعلق بـ:

- الزوال التدريجي لمفاهيم محلية تقليدية... الخ.
 - ظهور مؤشرات دالة على تلوث الفضاء الاجتماعي الثقافي العربي العام والجزائري خصوصا، وذلك بالانتشار الواسع والقسري لجملة من المفاهيم الدخيلة... الخ.
- ويمكن القول أن العولمة مبنية أساسا على ثلاث أبعاد:

- البعد السياسي.
- البعد الاقتصادي.
- البعد الإعلامي.

٣- تأثيرات الإعلام العولمي على القيم:

٣-١- حقيقة الإعلام العولمي:

إذا كان مفهوم العولمة يدور حول فكرة السيطرة الأمريكية، أو الانتشار الكوني للإيديولوجية الأمريكية عبر العالم (أمركة العالم)، فإن عولمة الإعلام تعني (أمركة الإعلام) بمعنى آخر الانتشار الكوني للإيديولوجية الأمريكية عبر العالم بشكل غزير ومبهر عن طريق وسائط إعلامية دولية ضخمة وجبارة تتنوع بين الإخبارية والسينمائية و... موجحة رسائلها الإعلامية الحاملة للإيديولوجية والثقافة الأمريكية إلى بلدان العالم، دون اعتبار لأي معايير أو أخلاقيات أو ضوابط متفق عليها، والمعلوم أن: "الإعلام جزء من الاتصال، وهو تلك العملية الإعلامية التي تبدأ بمعرفة المخبر الصحفي بمعلومات ذات أهمية، أي معلومات

جديرة بالنشر والنقل ثم تتوالى مراحلها، من تجميع المعلومات من مصادرها ثم نقلها والتعاطي معها وتحريرها ثم نشرها وإطلاقها وإرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو محطة تلفزيونية إلى طرف معني بما ومهتم بوثائقها"^(١٢)، أما الإعلام العولمي فما هو إلا عملية اتصال مدروسة مبنية أساسا على انتقال المعلومة، ويقول محمد عبد القادر حاتم في هذا الشأن: "إن ثورة المعلومات أدخلت تحسينات على وسائل نقل المعلومات بما انعكس على سرعة وضخامة حجم هذه المعلومات ولكننا نعرف أنّ عملية انتقال أي بيانات أو معلومات أو معرفة من نقطة لأخرى تتطلب:

- مصدر أو مرسل.
- جهة مستقبلة.
- مجموعة قنوات أو الوسائل لنقل الرسالة.
- الرسالة المنقولة^(١٣).

وقد ساهم في إيجاد العولمة الإعلامية تحول النظام الإعلامي الدولي من الطابع الثنائي الذي كان يقوم على سيطرة النظامين الإعلاميين الليبرالي الغربي والاشتراكي الشرقي إلى الطابع الأحادي الذي يقوم على سيطرة نظام إعلامي دولي واحد، وهو الغربي الليبرالي وهيمنة قطب واحد على هذا النظام.... ومن المهم التأكيد على أنّ تكنولوجيا الاتصال والمعلومات كان أحد الأسباب الرئيسية في تحول النظام الإعلامي الدولي من الطابع الثنائي إلى طابع النظام الواحد وأنّ هذين المتغيرين يشكلان جوهر مفهوم العولمة الإعلامية^(١٤)، كما تطورت تقنيات الكلمة والصوت والصورة التي كان التحكم فيها يتم بواسطة لوحة مفاتيح أو ميكرفون لتتجمع كلها في وحدة واحدة يتم ترتيبها وتنسيقها بواسطة الكمبيوتر، الذي يمكن مثلا أن يقوم بدور فرقة موسيقية كاملة، وساعد انخفاض أسعار أجهزة الاستقبال من ناحية أخرى على انتشار تكنولوجيا وسائل الاتصال والإعلام مما أتاح ليس فقط وصولها إلى مختلف مشاريع شرائح سكان الأرض، بل واتساع مجال الاختيار والمفاضلة بينهم بالإضافة إلى انتهاء السيادة الوطنية على ما ييثر عبر الفضاء الذي يصل إلى كل المجتمعات عن طريق أطباق الدش^(١٥).

وكما سبق أن ذكرنا تأثر الإعلام بالعمولة وأثر فيها في اطار علاقة تبادل، واقع الحال "هناك من الباحثين من يعود بالعمولة كنظام اقتصادي وإعلامي وإيديولوجي إلى مبادرة تقدم بها بعض المنظرين في الولايات المتحدة عام ١٩٦٥ طرحوا فيها ثلاث قضايا منها برنامج عمل يضمن للولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة على العالم.

■ القضية الأولى: تتعلق باستعمال السوق العالمية كأداة لإخلال بالتوازن في الدول القومية في نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية.

■ القضية الثانية: تخص الإعلام بوصفه القضية المركزية التي يجب الاهتمام بها لإحداث التغييرات المطلوبة على الصعيد المحلي والعالمي.

■ القضية الثالثة: تتعلق بالسوق كمجال للمنافسة" (١٦).

فالإعلام العمولي عموما يتميز بـ:

من الزاوية المادية:

■ رسملة الإعلام والاهتمام بالبعد الاقتصادي فيه بالدرجة الأولى (أو ما يسمى بتسليع الإعلام).

■ الإعلام لم يعد حكرا على المؤسسات الإعلامية الكلاسيكية حيث دخل متعاملون جدد في مجال إنتاج الإعلام وتخزينه، وتوزيعه.

من الزاوية الفنية:

■ سرعة النشر.

■ الكم اللامحدود للمعلومات (عصر هيجان المعلومات).

■ تطبيق مبادئ ونظريات علم النفس الاجتماعي وعلوم الاتصال كالإغراق، الإبهام، الإشباع باحترافية.

■ التداخل ما بين الترفيه والإعلام والثقافة.

من الزاوية الثقافية:

■ تدويب الثقافة المحلية وصهرها في فرن الثقافة العالمية.

- تعميم وتعويم النمط الفكري التقليدي للجماعة، والمجتمع.
- رسملة الثقافة (ما يسمى بتسليع الثقافة).
- قهر العادات والتقاليد في الدول المتخلفة والنامية.

من الزاوية السياسية:

- تقويض السيادة الوطنية للدول وطمس المعنى الكلاسيكي لمفهوم الدولة.

والواقع أن هذه السيطرة التي يمثّلها الإعلام العولمي سببها غياب اعلام عربي ومحلي بديل وفي مستوى المنافسة، فلا غرابة اذا أن تتأثر الثقافة كبعد قيمي هام بمدخلات الاعلام العولمي، "وعن دور الإعلام العربي في هذا السياق قال د. فخرو: دعنا أخيراً نطرح السؤال المتعلق بدور الإعلام العربي في هذه المعركة، إن الوسيلة الأهم لاختراق الثقافة العولمية، ومركزيتها في عواصم الغرب وعلى الأخص الأمريكي منه، للثقافة العربية هي البرامج الإعلامية السمعية والبصرية والالكترونية الهائلة التي امتدّت وتضخّمت لتصل إلى كل بيت عربي، وإن نظرة واحدة على شاشات التلفزيونات العربية، المحلية أو الفضائية منها، تظهر كم تسيطر المادة الثقافية الأجنبية، سواء بلغات أجنبية أم مترجمة إلى اللغة العربية، على المشهد التلفزيوني برمّته.. مستدركا في هذا الجانب بعض المحاولات القليلة الجادّة في بعض بلاد العرب لخلق إعلام عربي منافس للإعلام العولمي الأمريكي على الأخص، لا تكفي، وهي مبعثرة من جهة ومتنافسة أحيانا فيما بينها من جهة ثانية، كما أن الإعلام العولمي سيل كبير جارف لا تصدّه الإمكانات القطرية مهما بذل فيها من مال، فليس بالمال وحده يبني الإعلام الرّصين الجاذب الموثوق به وليس بالمال وحده يمكن صدّ الهجمة الثقافية العولمية" (١٧).

وختتم د. فخرو حديثه مؤكدا على أن الجواب على تلك الصورة القائمة يجب أن يمرّ من خلال عمليات إصلاح عميقة لنقاط الضعف في ثقافتنا ومن خلال عملية تجديد شجاع من داخل ثقافتنا وليس من خارجها.. لكون الكثير من الإشكاليات في الثقافة العربية سيمكن إزالتها من خلال التقدم، حتى الجزئي، في تحقّق مكوّنات المشروع النهضوي.. مشيرا إلى أن هذا لا يمنع قيام المبادرات لوضع استراتيجيات متكاملة لإصلاح ونهضة وتجذّد الثقافة العربية، كما فعلت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة منذ عدة سنوات.. كما لا يمنع - أيضا - من بذل الجهود من قبل المفكرين العرب لإخراج

الثقافة من أكبر محنة عاشتها عبر أكثر من قرن وهي محنة الثنائيات التي أنهكتها وخصوصاً ثنائية الأصالة والمعاصرة وثنائية التراث والحداثة.. مؤكداً على أن المسألة الثقافية كتب عنها الكثير، ونوقشت في عشرات المؤتمرات، إلا أن حلها النهائي يحتاج إلى أمة موحدة حرّة ناهضة تتطلّع إلى أفق المستقبل الساطع المبهر.

٣-٢- القيم على المستوى الشخصي:

تعتبر القيم الشخصية من العناصر الأساسية لتكوين ثقافة الأفراد، فهي تُؤثّر تأثيراً كبيراً في حياتهم الخاصة والعامة، بوصفها أحد المكونات الأساسية للشخصية ويمتد تأثيرها إلى سلوك الأفراد، واتجاهاتهم، وعلاقاتهم، وهي بذلك تُوفّر إطاراً مرجعياً مهماً يوجه سلوك الأفراد والجماعات وانتظامهم داخل المؤسسات وخارجها، إذ تقوم بدور المراقب الداخلي الذي يُراقب أفعال الفرد وتصرفاته فالقيمة هي ما يعتبره الفرد مهماً وذا قيمة في حياته، كما تم توضيحه سابقاً ويسعى دائماً إلى أن يكون سلوكه متسقاً، ومتوافقاً مع ما يؤمن به من قيم، ولذلك لا يمكن إغفال دراسة القيم الشخصية، عند محاولة تحليل السلوك الإنساني، وبالتالي فهم السلوك فهما يحيط بطبيعته ودوافعه واتجاهاته.

إن مفهوم القيم الشخصية تفاوت بين الشمولية والتخصيص، فبعض الدراسات قصدت بالقيم الشخصية قيم الفرد بشتى تصنيفاتها الدينية والاجتماعية وقيم العمل كذلك ودراسات أخرى تضع القيم الشخصية داخل إطار خاص يتضمن القيم الذاتية، بمعزل عن قيم العمل أو القيم الاجتماعية.

والقيم الشخصية لها علاقة تأثير مباشر على أداء الفرد في مجتمعه، فمتى ما التزم الفرد بقيم شخصية معينة، ظهرت تلك القيم واتسق مضمونها مع الأداء الاجتماعي، كما أن التشابه والتناغم بين قيم الفرد الشخصية وبين الجماعة الاجتماعية تدفعه إلى التفاعل معهم بطرق ايجابية أكثر، فان اختلفت هذه القيم التي اصطفها الفرد لنفسه، مع قيم المجموعة المحيطة به فإن ذلك ادعى لوقوع الاختلاف، بل قد يتطور الحال إلى صراع ينعكس سلبا على مستوى الأداء الاجتماعي العام للفرد في مجتمعه.

والقيم الشخصية هي القيم التي يتميز بها الفرد، تنبثق من معتقداته واتجاهاته، يقوم بنقلها إلى المنظمة التي يعمل بها، حيث تترجم هذه القيم والمعتقدات الشخصية إلى سلوكيات وقرارات أخلاقية داخل المنظمة^(١٨)، تعرف القيم الشخصية بأنها "عبارة عن المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة والتي تعمل توجيه رغباته واتجاهاته وتحدد له السلوك المقبول أو المرفوض والصواب والخطأ وتتصف بالثبات النسبي"^(١٩)، إن المجتمع الناجح هو الذي يحاول مجازاة قيم أفراد من منطلق أن القيم الشخصية تتميز بالمرونة، أما القيم الاجتماعية العامة فرمما تتميز بالصلابة واللف حول محورها فتتزع إلى الثبات، حتى وإن ساعدت مرونة قيم الأفراد في التوافق.

٣-٣- التحليل السوسيواتصالي لتأثير الإعلام العولمي على القيم الشخصية:

يتضح ذلك من خلال ما يسمى بالسوسولوجيا الوظيفية لوسائل الإعلام وما أفرزته من نماذج، فمؤدج لازويل المشهور مثلا جاء ليفسر الظاهرة الاعلامية الكونية من خلا: "ماذا وبأية قناة ولمن ومن اجل تحقيق أي تأثير؟ بهذه الصيغة التي حققت الشهرة، قدم لازويل إطار مفاهيميا للسيولوجية الوظيفية لوسائل الإعلام، والتي كانت حتى ذلك الوقت محصورة في دراسات علمية ضيقة (Monographs) وعند نقلها إلى مجالات بحثية، أعطت صيغة لازويل هذه على التوالي دفعا لتحليل الضبط والتوجيه، وتحليل المضمون وتحليل وسائل الاتصال الجماهيري، وتحليل الجمهور، وأيضا لتحليل التأثير، وفي الممارسة، برز هذا البرنامج نقطتان مميزتان: تحليل التأثير (Ampact Analys) والتحليل الأخر المرتبط به بقوة وهو تحليل المضمون (Contene Analys) الذي زود الباحثين بعناصر لتوجيه مقاربتهم للجمهور، هدف هذه التقنية في البحث تحقيق وصف موضوعي منتظم وكمي للمضمون الظاهر للاتصال كان الاهتمام الذي أعطى آثار لوسائل الإعلام على المستقبلين وعلى التطور المستمر للمعرفة والسلوك والمواقف والعواطف والآراء والأفعال بواسطة العرابين (الكفلاء الرعاة، الضامنين Sponser) الذين كانوا مهتمين بحساب فعالية الحملات الإعلامية الحكومية والحملات الإعلامية المشتركة أو النشاط الدعائي العسكري في زمن الحرب"^(٢٠).

ولعل أخطر التأثيرات الإعلامية العولمية على القيم الشخصية ذوبان الهوية الفردية وظهور ما يسمى بالإنسان الكوني، وفي هذا الشأن يعتقد كل من **توفليير، وماسودا** "بأن حضارة المعلومات ستساوي بين البشر وستعمل على تشكيل مجتمع عالمي تسوده المساواة والعدالة، بعد عولمة الإنسان وتفكيك الهويات المختلفة، وستكون روح العصر في (المجتمع الإعلامي) (النزعة الكونية) التي تتصف بثلاثة أفكار: الإحساس بوحدة البشرية، والمعايشة السلمية بين البشرية والطبيعة، ونشوء فضاء إعلامي كوني، لا يعرف حدودا إقليمية ولا وطنية، وبهذا تعمل الإمكانية التقنية لحل المسائل الاجتماعية على إزالة التربة التي تنمو فيها النزاعات الاجتماعية والصراع الطبقي . تلك هي الطوباوية التقنية . واستنادا إلى الرؤية السابقة يبشر البعض بولادة (الإنسان العالمي)... وهكذا نحن إزاء إمكانيات جديدة، للوجود والحياة، تنبثق على نحو لا نظير له من قبل، وهي تسفر ليس فقط عن عولمة السوق والمدينة والسياسة بل تفضي إلى (عولمة الأنا)" (٢١).

٣-٤- القيم على المستوى الجمعي:

إن "القيم التي يؤمن بها المجتمع الإنساني دورا كبيرا في تنوع الثقافات وترجع بعض تلك القيم للأديان السماوية، ولذلك نجد فرقا كبيرا بين مستوى ثقافة المجتمعات الوثنية وثقافات المجتمعات المنتمية للأديان السماوية، ولا شك أن القيم الكبرى التي تنادي بها تلك الأديان، ومنها العمل والعلم والإخلاص والصدق والتعاون والكرامة وارتفاع مكانة المرأة تلعب دورا كبيرا في النمو وتنوع الثقافة" (٢٢).

"على أنها R.H.Williams لقد استخدمت لفظة القيمة بإشباع في تراث العلوم الاجتماعية، وأشار إليها "وليامز" مفهوم واسع وشامل، له ميزة جذب الانتباه لإمكانية وجود عناصر قيمة في كل أنواع السلوك النظرية أو التلقائية" (٢٣). ويظهر إسهام أوغست كونت في تاريخ السوسولوجيا ذو أهمية كبرى، فهو الذي دعا إلى الدراسة الموضوعية لجميع الظواهر، ولما كانت القيم من المواضيع التي تأخر العلماء في دراستها، سواء علماء النفس أو الاقتصاد كان الاستناد إلى الأصل الموضوعي في دراستها أمر لا مناص منه، وسرعان ما أصبحت القيم تمثل أهم الموضوعات التي يهتم بها علماء الاجتماع إلى درجة أنهم صاغوا العديد من النظريات السوسولوجية حولها، ويفصح هذا الاتجاه عن نفسه في الكتابات

والنظريات السوسولوجية العديدة التي قدمها جملة من علماء الاجتماع، المهتمين بدراسة سوسولوجية القيم نذكر منها مثلاً: كونت، دوركايم، كارل مانتهايم، جورج غورفيتش ماكس فيبر...^(٢٤).

٣-٥- التحليل السوسيواتصالي لتأثير الإعلام العولمي على القيم الجمعية:

تحقق العملية الاتصالية ، كما يرى لازويل ، ثلاث وظائف رئيسية في المجتمع:

١ - مراقبة البيئة وتقديم إنذارات حول المخاطر والتهديدات الوشيكة على نظام قيم الجماعات أو أقسامها.

ب - ربط أقسام المجتمع وفق متطلبات البيئة

ج - نقل التراث الاجتماعي من جيل إلى آخر أو النقل الثقافي^(٢٥).

والعولمة الإعلامية بذلك تعمل على تذويب خصائص الفرد وقيمه الشخصية الاستهلاكية بشكل مفرط يتجاوز حدود

الفرد الخاصة به، إذاً يمكن القول أن جمهورنا من خلال قيمه الشخصية الغير مستقرة بثبات وبرسوخ لم يكتسبوا بعد مناعة

ضد ما يتنا من الإعلام الغربي خصوصا (جانب الأفكار) وينطبق عليهم قول كل من:

▪ الدكتور يوسف القرضاوي (عقلية القطيع).

▪ ونظرية المفكر مالك بن نبي (خميرة قابلية الاستعمار).

▪ وفكرة بن خلدون (المغلوب مولع بتقليد الغالب). وأسباب فقدان المناعة فيما يتعلق بالقيم الشخصية هنا لا

تخصي...

ولعل أخطر ما يتمثله التأثير السلبي للإعلام العولمي على القيم الجمعية ومن خلال عديد النظريات كنظرية التطعيم

باعتبارها إحدى نظريات الإعلام الهامة ما من شأنه إماتة الإحساس وتبلده وتقبل المجتمع الجماهيري لما يعرض عليه دونما

فلترة أو إدراك للأبعاد المبطنة، وذلك أن المشاهد مهما كان تعارض المادة الإعلامية مع منظومة قيمه تتحول إلى جزء من

نسيجه الشخصي وتكوينه، فلقد: "أظهر استطلاع طبي «حول استقبال القنوات الفضائية الأجنبية والعربية وعلاقته بصحة

طالبات الجامعة» وجود مرضٍ أُطلق عليه «مرض الدش» وذلك لازدياد أعداد المترددات على العيادات النفسية والنسائية من

الفتيات بين ١٦-٢٧ عامًا^(٢٦)، مما يعني أنّ القنوات الفضائية ورغم أنّها من أهم اختراعات القرن والتي قدمت عديد الخدمات للجنس البشري إلا أنّها سلاح مزدوج الاتجاه بناء على آثارها ونتائجها الإيجابية منها والسلبية، وفي هذه الفقرة بالذات سنركز على أهم الآثار السلبية للإعلام العولمي على بعض أهم القيم الجمعية:

أولاً: الآثار على القيم العقائدية:

هناك أثر سلبي لمضامين برامج البث القنوات الفضائية على عقيدة المسلمين، عن طريق التشكيك في عقيدتهم، والترويج للقيم المادية وتحسين أنماط السلوك السائد في المجتمعات الغير مسلمة، وإظهار المجتمعات غير الإسلامية بأنها بلاد الحرية، وتقبل الرأي البشري المخالف للشرائع السماوية، وفي المقابل وصف العالم الإسلامي بالرجعية والتخلف، وربما روجت بعض قنوات البث المباشر بعض الأفكار الإلحادية وكل هذه المضامين الوافدة تبث عبر القنوات الفضائية، وللأسف قد يستحسن بعض المسلمين تلك الأفكار وأساليب الحياة في المجتمع الغربي ويقلدها عن جهل منه، إن بعض القنوات الفضائية فتنة تهدد كيان الأمة الإسلامية، فقد اجتمع (٨١٩٤ مناصراً) وعقدوا اجتماعاً عالمياً في هولندا مثله أكثر من خمسين دولة وكلف ٢١ مليون دولار، وكان هدفه دراسة كيفية الاستفادة من البث الفضائي للتنصير والتأثير على المسلمين^(٢٧).

ثانياً: الآثار على القيم الأمنية:

تقدم القنوات الفضائية الجريمة و العنف بأشكالها واقعا اجتماعيا وأحداث عادية مألوفة كل يوم، يتقبلها الناس بعفوية هادئة قبولهم لبعض الظواهر الجوية المألوفة كبرودة الجو أو هطول الأمطار، إن استمرار الشباب في مشاهدة العنف والقوة واستخدام العدوانية، يترك أثارا سيئة على حياتهم وعلاقتهم مع المجتمع وتعاملهم مع أسرهم بصورة خاصة، فقد بدأت وسائل الإعلام بتسويق برامج العنف والعدوان والجريمة وأصبحنا نعيش في عالم عدواني يقوم على تثبيت بصماته السلبية على شخصية الشباب.

ثالثاً: الآثار على القيم الصحية:

تشجع القنوات الفضائية الشباب على السلوكيات السلبية كالتدخين، والمخدرات وشرب الخمر وتناول الوجبات السريعة وتناول المشروبات الغازية، مما يؤثر سلبا على صحة الشباب.

رابعاً: الآثار على القيم الاقتصادية:

وتمثل الترويج عن المنتجات الغربية من خلال الإعلانات، وجعل المواطن العربي مستهلك للمنتجات الأجنبية الضرورية وغير الضرورية، والأدوات الكمالية، وتشجيع المواطن العربي على شراء واقتناء السلع الأجنبية على حساب شراء المنتجات الوطنية.

خامساً: الآثار على القيم الاجتماعية:

بسبب إمكانية التلقي المباشر من القنوات الفضائية انعدمت فرص الرقابة والمنع من قبل الجهات الرسمية في الدول النامية، وتعذر على الجهات الرسمية فرص الانتقاء والحذف من مضامين البرامج الوافدة الضارة بالقيم الدينية والاجتماعية والثقافية، أو بالأسرة والتربية، وهكذا ظهرت المحجمة الأجنبية التي تمجد العنف والعداوات والقوة، حتى في برامج الرسوم المتحركة الموجهة للشباب، واحتوت تلك البرامج على مضامين ربما أدت إلى تفكك الأسرة وتشجيع الانفرادية والأنانية والخروج على سلطة الوالدين، والاستهزاء بالقيم الدينية، وربما احتوت برامج البث على مفاهيم متناقضة مع مفهومنا للأسرة وشرعية العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع الإسلامي.

سادساً: الآثار على القيم التعليمية:

إصابة الشباب بالخمول والكسل، فمتابعة مشاهدة القنوات الفضائية يكسبهم عادة الكسل والتواكل على الآخرين والتقاعد عن القيام بالأعمال الموكلة إليهم، وصرفهم عن القراءة والإطلاع والمذاكرة، مما يضعف قدراتهم، وتحصيلهم العلمي، و يؤدي بهم إلى العزلة الأسرية والاجتماعية.

ثامناً: الآثار على القيم الثقافية:

ومحاولة التغريب ومحاربة وتحديد الهوية الثقافية للمجتمع العربي، من خلال عرض المعايير والقيم والسلوكيات اليومية ونمط العلاقات الاجتماعية في المجتمع الغربي، بوصفة المجتمع الأرقى والأكثر تقدما، وعرض النماذج السائدة في المجتمع العربي ووصفها بالتخلف، وهذا يفسر لنا انتشار نماذج ثقافية غريبة في المجتمعات العربية^(٢٨).

وإذا كان الأديب والصحفي محمد الرطيان.. يقول: "ما الذي يجعل نابليون رجلا عظيما وهتلر رجلا سيئا وطاغية؟.. وكلاهما لا يجيد سوى الغزو و إشعال الحروب.. إنهم المؤرخون.. وأشياء أخرى.. احصل على مؤرخ سيء.. تحصل على تاريخ جيد.."، وهي فلسفة تجعل من التاريخ والمؤرخ أداة للسيطرة والتحكم، بل وفلسفة لتغيير خارطة الحياة وحوادثها وحيثياتها فإنه ومن ذات المنطق نقول: "ما الذي يجعل نابليون رجلا عظيما وهتلر رجلا سيئا وطاغية؟.. وكلاهما لا يجيد سوى الغزو وإشعال الحروب.. إنه الإعلام.. احصل على إعلام يخدم أفكارك.. تحصل على مجتمع يتبناها ويحملها..".

خاتمة: لعل أهم ما يمكن استخلاصه من هذا البحث التحريدي المقتضب تلك النظرة التي تفيض بالاعتراف بالقدرة التامة للإعلام العالمي كونه غاية في الأهمية وضمن شبكة وسائل أكثر انتشار وتعقيدا والتي طبعت جل ما تناوله الكتاب والباحثون ومن تخصصات مختلفة، بلا شك إن القوة التأثيرية لوسائل الإعلام العالمي المختلفة على القيم الإنسانية إن سواء على المستوى الشخصي أو الجمعي تكاد تكون شبه مطلقة بالنظر لجملة خصائص تميز هذه الوسيلة الاتصالية إضافة إلى جملة الخصائص التي تميز الفرد في العالم الثالث بالخصوص من جهة أخرى، إنها علاقة تفاعلية تتسم بالتماهي إلى درجة الذوبان، بمعنى ذوبان قيم الجمهور وانصهاره ضمن المنظومة الإعلامية العالمية بشكل يوافق التخدير جراء عمليات حقن متواصلة، ولعل ما أشار إليه كل من خالد بن عبد الرحمن الشايع، غربي محمد، فيصل عباس وغيرهم ممن ورد ذكر أفكارهم في هذا المقال يبين ذلك بوضوح.

-قائمة الهوامش :

- ١- مصطفى النشار: ضد العولمة، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع، ب ط، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥٧.
- ٢- محي الدين مختار: محاضرات علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٩٦.

- ٣- عبد العليم محمد: دور المثقف في عالم متغير، في: مجلة دراسات إستراتيجية، مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١٣٦.
- ٤- محمود عقل: القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية بدول الخليج العربي، السعودية، ٢٠٠١، ص ٦٦.
- ٥- كمال التابعي: الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣٦.
- ٦- عاطف غيث، غريب سيد احمد: علم الاجتماع العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص ١٦٢.
- ٧- محي الدين أحمد حسين: القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٩.
- ٨- سناء خضر: الفلسفة الخلقية والعلم نظرة نقدية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط ٩، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٥٥.
- ٩- أوليفيه روبول: فلسفة التربية، ترجمة: جهاد نعمان، منشورات عويدات، ط ٢، باريس، ١٩٨٢، ص ١٢٧.
- ١٠- غربي محمد نقلا عن برهان غليون: (مجلة اقتصاديات شمال افريقيا: تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي)، العدد ٠٦، ٢٠٠٩، مخبر العولمة واقتصاديات شمال افريقيا، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص ١٨.
- ١١- برهان غليون: (مجلة المستقبل العربي: الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين . تحديات كبيرة وهمم صغيرة)، بيروت، العدد ٢٣٢، جوان ١٩٩٨، ص ٣.
- ١٢- إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، عمان/الأردن، ب س، ص ١٢٨.
- ١٣- محمد عبد القادر حاتم: العولمة (مالها وما عليها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥٤٥.

- ١٤- إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، عمان/الأردن، ب س، ص ١٢٨.
- ١٥- نفس المرجع السابق، ص ٥٥٢.
- ١٦- عبد العالي دبله: مدخل إلى التحليل السوسولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط ١، الجزائر، ٢٠١١، ص ١٥٣.
- ١٧- علي فحرو: الإعلام العربي والغزو الثقافي، حاوره: علي القحيص، (جريدة: الرياض / المشاركة، الثلاثاء ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ - ١٥ مايو ٢٠١٢م)، العدد ١٦٠٣١.
- ١٨- أبو بكر مصطفى محمود: الموارد البشرية، مدخل لتحقيق الميزة التنافسية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٩١.
- ١٩- عوض عامر: السلوك التنظيمي الإداري، دار أسامة، ط ١، الأردن، ٢٠٠٨، ص ٨٠.
- ٢٠- ارماند ماتيلار، ميشيليه ماتيلار: نظريات الاتصال، ت: أديب رخضور، ط ١، سوريا، المكتبة الإعلامية، ٢٠٠٣، ص ٤١.
- ٢١- فيصل عباس، العولمة والعنف المعاصر (جدلية الحق والقوة)، دار المنهل اللبناني، ب ط، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٨٠ / ١٨١.
- ٢٢- عاطف وصفي: الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٢.
- ٢٣- حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سبق ذكره، ص ١٦١.
- ٢٤- محمد طاهر بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على القيم في المجتمع الجزائري (١٩٩٩/١٩٦٧)، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجزائري، دار بني مرابط للنشر والطباعة، ط ١، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٧٢ / ٧٣.

٢٥- ارماند ماتيلار، ميشيليه ماتيلار: مرجع سبق ذكره، ص ٤٢.

٢٦- خالد بن عبد الرحمن الشايع: القنوات الفضائية وآثارها العقدية والثقافية والاجتماعية والأمنية، دار بلنسية،

المكتبة الإسلامية، ب ط، ب م ن، ب س، ص ١١.

٢٧- عبد الله الحمود: بحوث في الدعوة و الإعلام و دراسات (موضوع بعنوان: التأثير المتوقع للث الفضاائي)،

العدد ٠١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٢، ص ٥٧.

٢٨- نفس المرجع السابق، ص ٦٧.

- قائمة المراجع:

١. إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، عمان/الأردن،

ب س، ص ١٢٨.

٢. أبو بكر مصطفى محمود: الموارد البشرية، مدخل لتحقيق الميزة التنافسية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦،

ص ٩١.

٣. ارماند ماتيلار، ميشيليه ماتيلار: نظريات الاتصال، ت: أديب رخصور، ط ١، سوريا، المكتبة الإعلامية، ٢٠٠٣،

ص ٤١.

٤. أوليفيه روبول: فلسفة التربية، ترجمة: جهاد نعمان، منشورات عويدات، ط ٢، باريس، ١٩٨٢، ص ١٢٧.

٥. برهان غليون: (مجلة المستقبل العربي: الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد و العشرين . تحديات كبيرة

وهمم صغيرة)، بيروت، العدد ٢٣٢، جوان ١٩٩٨، ص ٣.

٦. خالد بن عبد الرحمن الشايع: القنوات الفضائية وآثارها العقدية والثقافية والاجتماعية والأمنية، دار بلنسية،

المكتبة الإسلامية، ب ط، ب م ن، ب س، ص ١١.

٧. سناء خضر: الفلسفة الخلقية والعلم نظرة نقدية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط ٩، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٥٥.
٨. عاطف غيث، غريب سيد احمد: علم الاجتماع العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص ١٦٢.
٩. عاطف وصفي: الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٢.
١٠. عبد العالي دبله: مدخل إلى التحليل السوسولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط ١، الجزائر، ٢٠١١، ص ١٥٣.
١١. عبد العليم محمد: دور المثقف في عالم متغير، في: مجلة دراسات إستراتيجية، مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١٣٦.
١٢. عبد الله الحمود: بحوث في الدعوة و الإعلام ودراسات (موضوع بعنوان: التأثير المتوقع للبت الفضائي)، العدد ٠١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٢، ص ٥٧.
١٣. علي فخرو: الإعلام العربي والغزو الثقافي، حاوره: علي القحيص، (جريدة: الرياض / الشارقة، الثلاثاء ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ - ١٥ مايو ٢٠١٢م)، العدد ١٦٠٣١.
١٤. عوض عامر: السلوك التنظيمي الإداري، دار أسامة، ط ١، الأردن، ٢٠٠٨، ص ٨٠.
١٥. غربي محمد نقلا عن برهان غليون: مجلة اقتصاديات شمال افريقيا: تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي، العدد ٠٦، ٢٠٠٩، مخبر العولمة واقتصاديات شمال افريقيا، جامعة حسبية بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص ١٨.
١٦. فيصل عباس، العولمة والعنف المعاصر (جدلية الحق والقوة)، دار المنهل اللبناني، ب ط، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٨٠ / ١٨١.
١٧. كمال التابعي: الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣٦.

١٨. محمد طاهر بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على القيم في المجتمع الجزائري (١٩٦٧/١٩٩٩)، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجزائري، دار بني مرابط للنشر والطباعة، ط ١، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٧٢ / ٧٣.
١٩. محمد عبد القادر حاتم: العولمة (مالها وما عليها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥٤٥.
٢٠. محمود عقل: القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية بدول الخليج العربي، السعودية، ٢٠٠١، ص ٦٦.
٢١. محي الدين أحمد حسين: القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٩.
٢٢. محي الدين مختار: محاضرات علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٩٦.
٢٣. مصطفى النشار: ضد العولمة، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع، ب ط، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥٧.